واطهرهم واشجعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قرنين اقل جوراً مما عرف من ضروب الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

خواطر سائح

لا يخال احداً من الناطقين بالضاد يجهل مكانة الاستاذ العلامة الشيخ عبد المحسن الكاظمي البغدادي نزيل القاهرة ورسوخ قدمه في الشعر بعد ان حمل المؤيد والمنار قصيدته العينية الشهيرة الى الاقطار التي يتكلم اهلها بالعربية ولقد اتحفنا حفظه الله بالقصيدة الآتية ارسلها الى صديق له جواباً عن قصيدة وقد ضمنها ما رآه واختبره في رحلته من ابوشهر احد الثغور الفارسية الى القاهرة وهي كما يراها قراء المقتبس تصورات عصرية باسلوب بدوي متين وسبك محكم رصين وهذه هي :

جوىً اودى بقلبك ام وجيبُ ... غداة حدا بك الحادي الطروبُ
بعدت عن الديار وصرت تدعو ... على البعد الديارَ ولا تجيب
رحلت وأنت للعلياء صاد ... تحوم على الموارد او تلوبُ
وخلفت المنازل آنساتٍ ... سروب الغيد تتبعها سروب
تشق حشاك من كلف عليها ... وتأنفُ ان تشقَّ لك الجيوب
وتسحب كالأنيس فضول برد ... وفي برديك ذو شيخن كئيب
تشدُّ الرحل من بلد لاخرى ... وما لمناك من بلد نصيب
وتبلو الناس فرداً بعد فرد ... وما في الناس الاَّ ما يريب
كأنك ترود مرعى كل انس ... ومرعى الانس في الزور اخصب
وفي مصر اراك وانت لامٍ ... وقلبك في العراق جوىً يذوب
فكم والى مَ تنجب ثم تبكي ... ولا يجدي البكاء ولا النحيب
وتشرب ماء جفنك وهو ملح ... وورد الحي عذب شروب
كأن الدمع بنطف وهو قانٍ ... عصارةُ كرمة والجفن كوب
دع الانفاس تصعد محرقات ... وخل الدمع من قلقٍ يصوب
لقد بان الخليط فلا خليط ... وقد بعد الحبيب فلا حبيب
فلا تتكلفنَّ ليَ التصابي ... ولا تسم الحشا ما لا يثيب

فلا «حلوان» في عيني تحلو ولا طيب «الجنينة» لي يطيب
وما في ذا الحمى لي من حميم بصحبته ألذ واستطيب
ورب اخ رماه البين عني بعيداً وهو من قلبي قريب
اناديه ولم ارَ من اناديـ واسأله النوال فلا يجيب
اقول له وقد احصى ذنوبي من الحسنات ان تحصى الذنوب
يعاتبني وقلب الحرّ ادرى بما تطوي الاضالع والجنوب
ويزعم انني ثمل طروب وما انا ذلك الثمل الطروب
أخيّ أعر مناديك ابن سمع يصيخ الى الدعاء ويستجيب
عساك ترد من ذا العتب عني لنفسك او الى العتبى ثنوب
اراك ارتبت من حالات نفسي وما في النفس من حال يريب
اعد نظراً تجد عذري صريحاً وعذر المرء آونة مشوب
فما كانت قطيعتنا جفاء فيوهم ظنك الحلم انكذوب
فكن مني على ثقة وحوّل ظنونك ان بارقها خلوب
فما انا مَن تغيره الليالي وتثنيه الحوادث والخطوب
يثوب بياك لي عن كل حسن وما عن حسن وجهك من يثوب
اذا ما عنّ ذكرك لي تغنّت له كبدي وطار بها الوجيب
اعيذك من جوى شبت لظاه بينك واستمرّ لها الشبوب
وأشفق ان ابثك بعض مابي وبعض الغيب يعلمه اللبيب
اؤمل اوبة مما تقضى واعلم ما تقضى لا يؤوب
فكم عبثت بنا نطف التصابي ومالت للقبول بنا الجنوب
فبينا تجمع الشمل الاغاني اذا بالشمل فرقه نعيب
بنفسي ما بنفسك يوم شطت (ابو شهر) وسرت ولا صحيب
اقمنا برهة وانجر طفل بطلعته قرون الليل شيب
وسرنا والهموم لها انسياب علينا والظلام له دبيب
وعجنا راكبين اليم فلكاً وهل اغنى الفوارس ذا الركوب
بواخر من بنات الماء شماً على هام السحاب لها صحوب
تحلق كالعقاب بنا وتهوي هوي الطود او هته الخطوب
وما برح الحث منا ومنها صعود بالعواصف او صبيب

تكفُّ الموجَ وهو بها محيط ... نزاع النفس لاقتها شعوب
ومن عجب على الامواه تطفو ... وبين ضلوعها ابداً وجيب
بلغت بها قرارة كل بحر ... بعيد القعر لؤلؤهُ رطيب
هنالك شمت لألاء اللآلي ... ولم تعبث برونقها الثقوب
وجزت به اقاصي كل ثغر ... تسيب به المخاوف ما تسيب
وظلت اجزّ لمة كل ليل ... له الولدان من هول تشيب
وارض جزتها من بعد ارض ... سباسيبا المريعة والسهوب
اعوج بحارها طوراً وطوراً ... اجوب من المواسي ماالجوب
الى ان قادني املي لمصر ... قياد الجامحات وهنّ لوب
وجاذبني اليها الشوق حتى ... سلست وراض مصعبي الجذيب
اذا بالنيل زرقاق الحواشي ... قريب النيل جارفه عزيب
اذا ما سال سال بكل شعب ... وسال في اباطحه الشعوب
كأنّ عليه من ذهب مذاب ... مزيج باللجين ولا مذيب
وما احلى « الجزيرة » من محل ... ترفّ على جوانبه القلوب
تحفّ بها رياض طيبات ... يطيب بنشرها الارج المطيب
عليها تصدح الورق ارتياحاً ... ويشدو في رباها العندليب
والفيت البلاد طفت خمولاً ... ودب باهلها الكسل الدبيب
واسواق البطالة عامرات ... ووادي الموبقات بها عشيب
وفيها من سمات الخصب لفظ ... يفاه به ومعناه جدوب
وماء العز ادركه نضوب ... بها لو كاد يدركه النضوب
بقاصمة الفقار رمى قواها ... ولما يخطها الرامي المصيب
وهل ابقى لها الا بقايا ... حشاً بليت كما بلي الشعيب(١)
فلا ينفك ينبيها وكل ... بها من حيث لا يدري نهيب
فقمت مغاضباً شعباً فشعباً ... وكل جوارحي منها شعوب
ابا اهل الحمية كيف اضحى ... حماكم وهو من عزّ حريب
اليس الشرق بالاشراق احرى ... واجدر منه بالغرب الغروب
فما لطنوبكم قصرت وطالت ... من الغربي فوقكم طنوب

(١) القربة البالية

تطول جبالكم منه الروابي وتعلو هامكم منها العجوب
رضيتم بالقعود على الدنايا ومنهجكم الى العليا لجيب
ترومون الفخار على الاعادي وعن خطط الفخار لكم نكوب
وترجون الخلاص من احتلال وعار الاحتلال بكم لصيب
كما يرجو الفريس خلاص نفس وقد علقت من الاسد النيوب
اتيت لاستطب فؤاد سقمي وقد يفغي الى الداء الطبيب

لها بقية

النشوء العقلي والاجتماعي(١)

في مصر

اخذ التقدم يرتقي في مصر بعد ان كانت مثل جميع البلاد الاسلامية لثمة العلم والزهد في معاناة الحياة التجارية نقول ان الحياة الدينية والمدنية شيء واحد وان في القرآن والسنة احكام الحياتين وفي مضامينها جميع القوانين. اما الاديان السماوية الاخرى فقد رأت من الضرورة الفصل بين السلطة الزمنية والروحية ولم يتسن للاسلام ان يشذ عن هذا القانون. ومن تأمل ما جرى في مصر منذ خمسين سنة فقط وقاس ما نتج من دخول التمدن الى هذا القطر خلال هذه المدة يدرك بان النشوء يكون على اتمه بعد قليل وان هذا التغيير يجري تحت طي السكون جارياً في مجراه الطبيعي من دون اكراه ولا اعنات. ومع هذا ظن كثير من المفكرين بان البلاد الاسلامية تبقى بعيدة عن التمدن. حملهم على هذا الظن ما رأوه من شدة تحمس المسلمين لدينهم وخضوعهم لما امر به القرآن خضوعاً اعمى

وحجة اهل الاسلام في هذا الباب ان التمدن الاسلامي لما كان منتشراً اكثر من غيره كانت العقائد سالمة لم تمس وراسخة لم تزعزع الا انه يقال لهم ان علماء العرب في تلك العصور لم يكونوا يدرسون سوى علوم مقررة قام بها تمدن الشعوب الاخرى ولم يقتربوا من الكتب التي حوت علوماً غيرها اومن المصنفات الادبية والصناعية التي تفتح على العقل باباً جديداً.

(١) عربت لجريدة الظاهر اليومية ثلاث مقالات وردت في جريدة الديبيش كولونيال الفرنسوية بقلم الدكتور جورج بك سمنة فاشار بعض الفضلاء ان انقل للقابس ماله علاقة بموضوعه منها تحفظ ذكرى نافعة لمن كتبت لهم